كنوز الحكمة
كولوسي 9:1 - 18

- **الدرس الثالث**

قلنا بأننا لن نجد تركيزاً كبيراً على الروحِ القُدُس في هذه الرسالَة، لكِنَّ الرسول بولُس يُبيِّنُ بوضوحٍ للمؤمِنينَ في كولوسي بأَنَّهُم لَمْ يكونوا ليقْدِروا على إظهارِ تِلْكَ المَحَبَّةِ لولا حُلولُ الروحِ القُدُس فيهِم. وهو لَنْ يُسْهِبَ أو يُطيلَ في الحَديثِ عَنْ هذا الموضوع، بَلْ سيُسْهِبُ ويُطيلُ في الحديثِ عَنْ شَخْصِ الرَّبّ يسوع المسيح.

بدأنا نتأمل في المَقْطَعِ من الآية التاسعة الى السادسة عشرة من الفصل الأول من كولوسي، حيث نَجِدُ صَلاةَ الرسول بولُس مِن أجْلِ مؤمِني كولوسي. وتُعَدُّ هذهِ مِنْ أرْوَع الصلواتِ في الكِتاب المُقَدَّس. في البِدايَة يَتلو بولُسَ بَعْضَ التضرُّعاتِ، ومِنْ ثَمَّ يَشْكُرُ الربَّ على الأشياءِ التي صَنَعَها مِنْ أجْلِنا. لنقرأ من الآية التاسعة الى الثامنة عشرة من الفصل الأول من كولوسي..

9 مِنْ أَجْلِ ذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا، مُنْذُ يَوْمَ سَمِعْنَا، لَمْ نَزَلْ مُصَلِّينَ وَطَالِبِينَ لأَجْلِكُمْ أَنْ تَمْتَلِئُوا مِنْ مَعْرِفَةِ مَشِيئَتِهِ، فِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ 10 لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضىً، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ، 11 مُتَقَوِّينَ بِكُلِّ قُوَّةٍ بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ، لِكُلِّ صَبْرٍ وَطُولِ أَنَاةٍ بِفَرَحٍ، 12 شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، 13 الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، 14 الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا. 15 الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. 16 فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. 17 الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ 18 وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ.

الشيء الأوَّل الذي يُصلّي الرسولُ بولُس مِنْ أجْلِهِ هُوَ أنْ يَمْتَلِئوا مِنْ المَعْرِفَة. وكَلِمَة "مَعْرِفَة" تعني باللُّغَة اليونانيَّة "مَعْرِفَة خارِقَة". فالغنوسيّون في كولوسي كانوا يَدَّعونَ ويتفاخَرونَ بأَنَّهُم يمتَلِكونَ مَعْرِفَةً خارِقَة. لكِنَّ الرسول بولُس يقولُ هُنا بأَنَّهُ يُصلّي أنْ يمتلئَ المؤمِنونَ بالمَعْرِفَة؛ لكِن ليسَ أيَّةَ مَعْرِفَة، وإنَّما مَعْرِفَةُ مشيئَةِ الله - فهذه المَعْرِفَة يجِبُ أنْ تكونَ "فِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ". وأودُّ فَقَط أنْ ألفِتَ انتباهك صديقي هُنا إلى أنَّ كَلِمَة "حِكْمَة" تَرِدُ في هذه الرِسالَة القَصيرَة أربَعينَ مَرَّة.

عدد 10:" لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضىً، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ ". أمّا صَلاتُهُ الثانية فهيَ أنْ يُرضوا الله في مسيرِهِم معهُ. وهذا يَعني أنَّهُ لا يَنبَغي على المسيحيّينَ أنْ يرْضَخوا لأيِّ إنسانٍ أو أنْ يُحاوِلوا إرضاءَ أيَّ بَشَرٍ على حِسابِ مرضاةِ الله. أمّا طِلْبَتُهُ الثالِثَة فهي أنْ يكونوا "مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ." فالمسيحيُّ هُوَ بمثابَةِ فرعِ شَجَرَةٍ مُثْمِرٍ. فالمسيحُ هُوَ الكَرْمَة، ويَنبَغي أنْ نؤتي نَحْنُ ثِماراً. "وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ." لا يَنْبَغي على المَسيحيِّ أنْ يكونَ جامِداً، بَلْ حَيّاً ودائِمَ النُموِّ في مَعْرِفَةِ كَلِمَةِ الله. وهكذا، فإنّ نموّهم في مَعْرِفَةِ كَلِمَةِ الله هِيَ طِلْبَةُ الرسول بولُس الرابِعَة في هذه الآيات.

عدد 11:" مُتَقَوِّينَ بِكُلِّ قُوَّةٍ بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ، لِكُلِّ صَبْرٍ وَطُولِ أَنَاةٍ بِفَرَحٍ ". هذه هِيَ الطِلْبَة الخامِسَة. فالقوَّة والقُدْرَة لا يُمْكِنُ أنْ يأتيا إلاّ مِنَ الله؛ فالروحُ القُدُس هَوَ الذي يَمنَحُنا إيّاهما. فهؤلاءِ المؤمِنونَ يَجِب أنْ يتقوّوا بِكُلِّ قُوَّةٍ "لِكُلِّ صَبْرٍ وَطُولِ أَنَاةٍ." وهذا الصَبْرُ وطولُ الأناةِ يَجِبُ أنْ يُمارَسا "بِفَرَحٍ."" شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ ". فيما يَلي قائِمَةً بالأشياءِ التي يَشْكُرُ الرسولُ بولُس عليها الرَّبّ. ويَنبَغي أنْ تكونَ صلاتُنا مُفْعَمَةً ومليئَةً بالشُكْر. فالرسولُ بولُس يشكُرُ الله على أنَّهُ أعطانا بِنِعْمَتِهِ الغَنيَّةِ ميراثاً مع القِدّيسينَ في النور. ويَنبَغي علينا أنْ

نتمَسَّكَ بذلِك في وقتِنا الحاضِر. فيَجِبُ علينا أنْ نُصَدِّقَ الله ونُصَدِّقَ بأنَّ وُعودَهُ صادِقة. " الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ ". الرسولُ بولُس يشْكُرُ الله لأنَّنا تَحَرَّرْنا مِنْ سُلطانِ إبليس. فقد كُنّا أمواتاً بالذنوبِ والخَطايا، ونسيرُ في طريقِ العالَم. أمّا الآن فقد انتَقَلنا إلى مَلكوتِ ابنِ مَحَبَّتِهِ. وهذا هُوَ الجانِبُ الحالِيّ مِنْ مملكة الله على هذه الأرضِ في وقْتِنا الحاضِر. فلا يُمْكِنُكَ أنْتَ أنْ تَبني ملكوتَ الله، لكِنّ الطريقَة الوَحيدَة التي يُمكِنُكَ مِنْ خِلالِها أنْ تُسْهِمَ فيه هي أنْ تَفْتَحَ قَلْبَكَ وتَقْبَلَ المسيحَ مُخلِّصاً شخصيّاً لَكَ. فهذا مِنْ شأنِهِ أنْ يَنْقِلَكَ إلى ملكوتِ ابنِ مَحَبَّتِهِ. " الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا ". لَمْ نَنْتَقِل إلى ملكوتِ الله فِحَسْبْ، بَلْ وَنِلْنا غُفران الخَطايا بِدَمِ يسوعَ المسيح. فحاشا للهِ أنْ يقومَ بغُفرانِ الخَطايا بصورَةٍ اعتِباطِيَّةٍ أو عاطِفِيَّةٍ. بَلْ إنَّنا حَصَلنا على الفِداءِ مِنْ خِلالِ دَمِ يسوع المسيح - والفِداءُ كَلِمَةٌ تَعني باليونانيَّة إطلاق وتحرير العبيد. فقد دَفَعُ يسوعُ الثَّمَنَ لكي يُحَرِّرَنا مِنْ العبوديَّة.

يُقدِّمُ الرسول بولُس الشُكْرَ للهِ على خَمْسِ حقائِقَ رائِعَة: (1) فقد جَعَلَنا اللهُ نلتَقي لكي نكونَ شُرَكاءَ في ميراثِ القِدّيسينَ في النور؛ (2) وحَرَّرَنا مِنْ سُلطانِ الظُّلْمَةِ؛ (3) ونَقَلَنا إلى ملكوتِ ابنِهِ الحبيب؛ (4) وفَدانا بِدَمِ المسيح؛ (5) وغَفَرَ لَنا خطايانا مِنْ خِلالِ دَمِه. ومَع ذلِكَ، فهُنالِكَ الكثيرُ مِنَ الأشخاصِ الذينَ ما زالوا يُصلّونَ لِغايَةِ الآن مِنْ أجْلِ هذه الأمورِ الخَمْسَة. عَزيزي المؤمِن، ينبَغي عليكَ أنْ تَعْرِفَ بأنّ هذه الأمور الخَمْسَة موجودَةٌ لديكَ الآن وهِيَ لَك؛ فَلِمَ لا تَشْكُرُ الله عليها؟

لقَد تحدَّثنا عَنْ شَخْصِ المسيح في دراسَتِنا لسِفْر نشيدِ الأنشاد. وفي رسالَةِ كولوسي نَدنو أكْثَرَ مِن هذا الموضوع ونتعلَّمُ اللاهوتَ المُتعلِّق بِه. يُعَدُّ هذا المقطَعُ مِنَ الرسالَةِ سامِياً للغايَة ورائِعاً إلى أبْعَدِ الحُدود. الموضوعُ هُنا هُوَ شَخْصُ الرَّبّ يسوع المسيح. ولا يُمكُنُنا - في هذه الحياةِ القصيرة - أنْ نقولَ الكثير عَنْهُ، ولا أنْ نستوعِبَهُ بكُلِّ روعَتِهِ وبكُلِّ مَجْدِهِ. يُقدِّمُ هذا المَقْطِعُ رَدّاً على أولئِكَ الذينَ يُنكِرونَ لاهوت يسوع المسيح. وفَهْمُ هذهِ الآياتِ يَعني إدراكَ رَوْعَةَ يَسوع. فالرسولُ بولُس يُحاوِلُ أنْ يَرُدَّ على واحِدَةٍ مِنْ أقْدَمِ الهَرْطَقاتِ والبِدَعِ التي ظَهَرت في الكنيسَة ألا وهي الغنوسيَّة. ومِن أقْدَمِ الهَرْطَقاتِ والبِدَع أيضاً الآريوسيّة. فقَد قالَ "آريوس الإسكندراني" بأنَّ يسوع المسيح كانَ مَخلوقاً. وفي سَنَة 325 ميلاديَّة رَدَّ مَجْمَعُ نيقيَّة على هذه الهَرْطَقَة بالقولِ بأنَّ: "الابنُ هُوَ إنسانٌ كامِلٌ وإلَهٌ كامِلٌ." وفي وَقْتٍ لاحِقٍ من تاريخِ الكنيسَة قامَ شَخْصٌ يُدعى "سوسينوس" بالترويجِ مِنْ جديدٍ لهَرْطَقَةِ أنَّ يسوع ليسَ الله وبأنَّ البَشَرَ لا يحتاجونَ لمُخلِّصٍ من الخَطِيَّة. وقَد عَلَّمَ بأنَّ البَشَرَ ليسوا فاسِدينَ تَماماً. وما زالَت هذه الأفكارُ مُنْتَشِرَةً لغايَةِ وقتِنا الحاضِر.

في الآيات من 15 - 18 من الفصل الأول نَجِدُ تِسْعَ عَلاماتٍ تُساعِدُنا على التعرُّفِ على يسوعِ المسيح وتُبيِّنُ أسبابَ اختلافِهِ وسُمُوِّهِ عَنْ أيِّ شَخْصٍ عاشَ على وَجْهِ هذه الأرض. عدد 15:" الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ ". أولاً، إنَّهُ "صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ." لكِنْ كَيْفَ يمْكِنُ أنْ يكونَ المسيحُ صورَةَ اللهِ غَيْرِ المَنظور؟ فلا يُمْكِنُكَ أنْ تَلْتَقِطَ صورَةً لِشَيءٍ غَيْرَ مَرْئِيّ. فكَيْفَ يُمكِنُ للمسيحِ أنْ يكونَ كذلِكَ؟ الرسولُ يوحَنّا يوضِّحُ ذلِكَ في فاتِحَةِ إنجيلِهُ حيثُ يَقول: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ." هذه بِدايَةٌ لَيْسَ لَها بِدايَة - فالمسيحُ ليسَ لَهُ بِدايَة. "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ" (يوحَنّا 1:1). ثُمَّ يَقولُ الرسولُ يوحَنّا: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ (وُلِدَ) جَسَدًا" (يوحَنّا 14:1). فهذه هِيَ الطريقَةُ التي صارَ فيها صورَةَ اللهِ غَيْرِ المَنظور. لكِنْ كَيْفَ يُمكِنُهُ أنْ يكونَ كذلك؟ لأنَّهُ الله. فلَو لَمْ يكُنْ هُوَ الله لَما كانَ صورَةَ اللهِ غَيْرِ المَنظور. ثانياً، إنَّهُ "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ." هذه العبارَةُ تكشِف عَنْ علاقَتِهِ بالآبِ وعَن مكانِهِ في الثالوث. فاللهُ هُوَ الآبُ الأزَليّ؛ والابنُ هُوَ الابنُ الأزَليّ. فهُوَ يتبوّأُ مكانَهُ في الثالوث باعتِبارِهِ الابن. كَلِمَة "بِكْر" تُشيرُ إلى أقدميَّتِهِ عَنْ كُلِّ الخَليقَة. ورياسَتُهُ على كُلِّ الخليقَةِ لا تَعني أنَّهُ وُلِدَ قَبْلَها. لهذا، يَنْبَغي علينا أنْ نفْهَمَ المقصود بكَلِمَة "بِكْر". لا يُعلِّمُ الكِتابَ المُقَدَّس بتاتاً أنَّ بدايَة يسوع المسيح كانَت في بيتَ لَحْم. نقرأُ في نبوَّة ميخا 2:5

بأنَّهُ سيولَدُ في بيتَ لَحْم، لكِنَّهُ جاءَ مُنْذُ القَديم. وتقولُ الآيَة (إشعياء 6:9): "لأنَّهُ يُولَدُ لَنا وَلَدٌ ونُعطى ابناً." فالوَلَدُ يولَدُ، أمّا الابنُ فيُعطى.

ويتطرَّقُ الرسول بولُس إلى إحدى الفَلْسَفاتِ التي كانَت شائِعَةً في ذلِكَ الوقت والتي كانَت تُعْرَفُ باسمِ "الإله الوسيط"، وتقولُ بأنّ الله خَلَقَ كائِناً أدنى مِنهُ مُباشَرَةً؛ ثُمَّ قامَ هذا المخلوق بِخَلْقِ كائِنٍ آخَرَ أدنى مِنْهُ مُباشَرَةً؛ وهَلُمَّ جَرّا إلى أنْ جاءَ أخيراً الكائِنُ الذي خَلَقَ هذا الكون. وقَد كانَت هذه المخلوقاتُ بمثابَةِ انبثاقاتٍ عن الله. فقَد كانَت الغنوسيَّةُ تُعلِّمُ بانَّ اللهَ يسوعَ كانَ واحِداً مِنْ هذه المَخلوقاتِ، وبأنَّهُ كانَ مُجرَّد انبثاقٍ عَنِ الله. والرسولُ بولُس يَرُدُّ هُنا على هذا الادّعاءِ الباطِل فيقولُ بأنّ يسوعَ المَسيح هُوَ بِكْرُ كُلِّ خليقَةٍ؛ فوجودَهُ يَسْبِقُ كُلَّ الخليقَة. والكَلِمَةُ اليونانيَّة تعني قَبْلَ كُلِّ الخليقَة. فهُوَ لَمْ يولَد في الخليقَة، وإنَّما هُوَ الذي جاءَ قَبْلَ نَحوِ ألفيّ سَنَةٍ وصارَ جَسَداً. فهُوَ موجودٌ قَبْلَ كُلِّ خليقَةٍ: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يوحَنّا 1:1-3). فاللهُ الآب هُوَ الآبُ الأزَليّ. واللهُ الابن هُوَ الابنُ الأزَليّ. هُنالِكَ عِدَّة آياتٍ في الكِتابِ المُقَدَّس تقولُ بأنّ الرَّبّ يسوع هُوَ البِكْر. فهُوَ يُدعى بِكْرُ كُلِّ الخليقَةِ، ويُدعى بِكْرٌ مِنَ الأمواتِ، ويُدعى المولودُ الوحيد. فهُوَ يُدعى بُكْرٌ مِنَ الأمواتِ في الآية 18 من هذا الأصحاح. وهذا ما تحدَّثَ عنهُ ناظِمُ المزمور حينَ قال: "إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ" (مومور 7:2). وقَد قامَ الرسول بولُس بِشَرْحِ هذه الفِكْرَةِ بمزيدٍ مِنَ التفصيل في تِلْكَ العِظَةِ الرائِعَة التي ألقاها في أنطاكية بيسيديّة في غَلاطية. فقَد قالَ بولُس بأنّ ناظِمَ المزمورِ قَصَدَ بأنَّ المسيح قَد وُلِدَ مِنَ الموتِ: "وَنَحْنُ نُبَشِّرُكُمْ بِالْمَوْعِدِ الَّذِي صَارَ لآبَائِنَا، إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ، إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضًا فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ" (أعمال 32:13، 33).

وحينَما يُدعى المسيحُ بِكْر كُلِّ خَليقَةٍ فهذا لا يُشيرُ إلى ولادَتِهِ في بيتَ لَحْمٍ. فهذه ليسَت آيَةً عَنْ عيدِ الميلاد بَل إنَّها تعني بأنَّهُ أسمى مِنْ كُلِّ الخليقَة. وقَد قالَ ناظِمُ المزمور: "أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ" (مزمور 27:89). وهذا يُبيِّنُ بِكُلِّ وُضوحٍ بأنَّ المسيحَ، باعتِبارِهِ الابنَ الأزَليّ، يتبوّأُ مَقاماً أسمى مِنْ كُلِّ الخليقَة. وبِعِبارَةٍ أخرى، إنَّهُ الخالِقُ. فليسَ هُنالِكَ إلهاً وسيطاً، ولا سِلْسِلَةً مِنَ الكائِناتِ التي خُلِقَت واحِداً تِلوَ الآخَر. بَلْ المسيحُ هُوَ خالِقُ الكُلّ.

اسمَح لي، عزيزي، أنْ أذْكُرَ بَعضَ الآياتِ الأخرى التي تتحدَّثُ عَنْ شَخْصِ المسيح. ففي عبرانيّين 3:1 نقرأ: "الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي". فمِن خَلالِ هذهِ الكَلِمات لا يبدو بأنّ يسوع كانَ مخلوقاً. "وَعَنِ الْمَلاَئِكَةِ يَقُولُ: الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ." لكِنَّ الرَّبّ يسوع المسيح ليسَ واحِداً مِنْ هذه المخلوقات: "وَأَمَّا عَنِ الابْنِ: كُرْسِيُّكَ يَا اللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ" (عبرانيّين 7:1، 8). وهكذا، صديقي، فإنَّ ما نتحدَّثُ عنهُ هُنا لا يَعني بأنّ الرَّبّ يسوع وُلِدَ مخلوقاً، بَلْ نتحدَّثُ عَن حقيقَةِ أنَّه هُوَ الله. فحينَما جاءَ إلى العالَم وُلِدَ وَلَدٌ، أمّا الابنُ فأعْطِيَ وجاءَ مِنَ الأزَل. وقَد كانَ إعلانُ المَلاكِ لمريَم كالتالي: "... ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لوقا 35:1). لِماذا؟ لأنَّهُ كذلِكَ حَقّاً. فقَد كانَ ابن الله قَبْلَ أنْ يأتي إلى هذه الأرض "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ" (مَتّى 16:16).

نأتي الآن إلى ثاني أروَعِ جُملَتينِ عن الرَّبّ يسوع؛ عدد 16:" فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ ". ثالثاً "فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ." إذا كانَت كُلُّ الأشياءِ قَد خُلِقَت فيهِ، فهذا يَحْسِمُ مسألَةَ ما إذا كانَ المسيحُ مخلوقاً أم خالِقاً. فالجُمْلَةُ التي تقول بأنّ المسيحَ بِكْرُ كُلِّ الخليقَة لا تَعني أنَّهُ خُلِقَ، بَل تعني أنَّهُ هُو الذي قامَ بِعَمليَّةِ الخَلْق. هُنالِكَ نوعانِ مِنَ الخليقَة: "ما يُرى، وما لا يُرى". ومِنَ المُدْهِشِ جِدّاً أنْ نُلاحِظَ هُنا بأنّ الرسول بولُس يذكُرَ تسلسُلاً للكائِنات غيرِ المرئيَّة: عُروش،

سيادات، رياسات، سلاطين. فالملائِكَةِ لَها رُتَبٌ ومناصِب. وفي آياتٍ أخرى نقرأ بأنّ هُنالِكَ سرافيم، وكروبيم، ورؤساء الملائِكَة. وهُنالِكَ أيضاً الملائِكَة العاديّين المُختَلِفين. في رسالَةِ أفسُس نقرأ عن حقيقَةِ أنَّ عدوّنا هُوَ عَدُوٌّ روحيّ. كَما أنَّ لإبليس ملائكته الذينَ عَصوا اللهَ مَعهُ. وبالتالي، هُنالِكَ رُتَبٌ مُختلفَة مِنَ أعدائِنا الروحيّينَ أيضاً.

رابعاً، مِنَ الرائِعِ أنْ نَعْرِفَ بأنَّ كُلَّ شيءٍ قَدْ خُلِقَ مِنْ قِبَلِه. لكِن هُنالِكَ حقيقَةٌ أخرى في هذه الآية: الكُلُّ خُلِقَ "لَهُ". إذا خَرَجْتَ الليلَة، عزيزي، إلى الخارِجِ ونَظَرْتَ إلى السماءِ فسوفَ تَرى الكثيرَ مِنَ النُجوم. وقَبْلَ سنينَ طويلَة، نَظَر الحُكَماءُ إلى السَماء ورأوا نَجْماً مُعيَّناً. لكِنَّكَ لَنْ تَرى ذلِكَ النَجْم بالتحديد حينَما تنظُرُ إلى السَماء، بَلْ سَتَجِدُ نُجوماً وَحَسْب. هَل تساءَلْتَ يوماً عَنْ سَبَبِ وُجودِ كُلّ نَجْمٍ في موقِعِهِ الخاصِّ بِه؟ لماذا يوجَدُ ذلِكَ النَجْمُ في ذلِكَ المَكانِ بالتحديد مِنَ السَماء؟ إنَّهُ في ذلِكَ المكانِ بالتحديد لأنَّ يسوع أرادَ ذلك. فهُوَ لَمْ يَخْلِق كُلَّ شَيءٍ فَحَسْب، بَلْ إنَّها خُلِقَت لَهُ. إحدى الحقائِق الرائِعَة هُنا هُوَ أنَّنا وَرَثَة لله وشُرَكاء في الميراث مع الرَّبّ يسوع المسيح. وأعتَقِدُ بأنَّنا سنكونُ مشغولينَ للغايَة في الأبديَّة. لكِنَّنا لَنْ نكونَ مُنغَمِسينَ في شئونِ العالَمِ الحاضِر، بَلْ سنُعطى أجساداً مُمجَّدَة خالِيَة مِنَ النَزْعَةِ إلى السُقوط. وسوفَ نعيشُ في مدينَةٍ جديدَةٍ تُدعى أورشليم السماويَّة. صَحيحٌ أنَّنا لا نَعْرِفُ كيفَ سيكونُ ذلِك، لكِنَّنا واثِقونَ من أنَّهُ سيكونُ رائِعاً. أنا وأنْتَ، عزيزي، نعيشُ هُنا في خِيام. فالرسول بولُس يدعو أجسادَنا خياماً؛ فهذا الجَسَد سيعودُ إلى التُراب عِنْدَما نموت. وسوفَ نكونُ قد انتَقَلنا مِن خيامِنا، وهذا ما ينبَغي أنْ نتطَلَّعَ إليهِ لأنَّ "الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ".